سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة بإذن الله

للشيخ أيمن الظواهري



بسم الله الرحمن الرحيم

سنقاتلكم حتى لا تكون فتنة بإذن الله

بسمِ اللهِ والحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ وآلِه وصحبِه ومن والاه

أيها الإخوةُ المسلمون في كلِ مكانٍ السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

وبعد

تمرُ علينا ستَ عشرةَ سنةٍ على الغزواتِ المباركاتِ في واشنطنَ ونيويوركَ وبنسلفانيا، لتثبتَ فشلَ سعيِ وتخطيطِ الغربِ الصليبيِ وعلى رأسِه أمريكا، وحلفائِه الروسِ والصينيين والصفويين الجددِ وطواغيتِ العربِ والعجمِ في إيقافِ المدِ الجهاديِ المتعاظمِ بفضلِ اللهِ ومنتِه وقوتِه.

بذلت أمريكا وأحلافُها ما يستطيعون، وغزت أفغانستانَ ثم العراقَ، وأرسلت قواتِها للصومالِ وغربِ إفريقيا واليمنِ والشامِ، وقصفت في كلِ تلك المناطقِ وغيرِها، ومع ذلك يتزايدُ المدُ الجهاديُ بفضلِ اللهِ، وتتعاظمُ الصحوةُ الجهاديةُ للأمةِ المسلمةِ.

هذه الصحوةُ الجهاديةُ المتعاظمةُ التي كانت غزواتُ الحادي عشرَ من سبتمبرَ علامةً فارقةً فيها.

لقد أراد الإمامُ المجددُ الشيخُ أسامةُ بنُ لادنٍ رحمه اللهُ، أن يوجَه الأمةَ للوجهةِ الصحيحةِ، التي ارتأها، حتى لا تتشتتَ جهودُها، ولا تتبعثرُ، وليختصرَ عليها زمنَ الهزيمةِ والمذلةِ والتبعيةِ.

لقد كانت عبقريةُ وبصيرةُ الشيخِ -رحمه اللهُ- في أن دعا الأمةَ للاجتماعِ على أمورٍ في غايةِ الخطورةِ في تاريخِ الأمةِ المسلمةِ:

الأولُ: هو جمعُ الجماعاتِ الجهاديةِ على هدفٍ مشتركٍ، تجتمعُ عليه الأمةُ.

والثاني: هو تبصيرُ الأمةِ بعدوِها الحقيقيِ، الذي يجبُ أن تجعلَه في أولويةِ جهادِها.

والثالثُ: هو جمعُ الجماعاتِ الجهاديةِ على العملِ تحت رايةِ الإمارةِ الإسلاميةِ في أفغانستانَ، بصفتِها تمثلُ على حدِ قولِه: "رايةُ الإسلامِ الصحيحِ المجاهدِ".

وبذلك قفزتِ الحركةُ الجهاديةُ قفزاتٍ عملاقةٍ في مواجهةِ الحملةِ الصليبيةِ.

نصح الشيخُ بقولِه وعملِه وسبقِه وريادتِه وتقدمِه لأمتِه، فكان نعم الناصحُ ونعم الرائدُ ونعم السابقُ، فتجاوبت معه الأمةُ، ولو انسحب أمامَ أمريكا، واكتفى بجهادٍ قطريٍ ذو مطالبَ ضيقةٍ في جزيرةِ العربِ مثلًا ما كان ليحرزَ هذا التجاوبَ كقائدٍ للمجاهدين وإمامٍ من أئمةِ المسلمين المجددين، وما كان ليحركَ هذه الصحوةَ الجهاديةَ المنتشرةَ في أرجاءِ العالمِ الإسلاميِ.

لم يبالِ الشيخُ -رحمه اللهُ- بما ينالُه أو يلحقُ به من أذىً ومصائبَ من عاقبةِ ما يدعو له ويحرضُ ويسعى ويسبقُ، كان يعلمُ أن الدنيا كلَها ستقفُ في وجهِه، ولكنها الهمةُ العاليةُ والنفسُ الأبيةُ والشيمُ الرفيعةُ.

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ — وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المَكارِمُ
وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها — وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ
أَتوكَ يَجُرّونَ الحَديدَ بجحفلٍ — يزلزلُ منه الجوَ والبحرَ راجمُ
خَميسٌ بِشَرقِ الأَرضِ وَالغَربِ زَحفُهُ — وَفي أُذُنِ الجَوزاءِ مِنهُ زَمازِمُ
تَجَمَّعَ فيهِ كُلُّ لِسنٍ وَأُمَّةٍ — فَما تُفهِمُ الحُدّاثَ إِلّا التَراجِمُ
وَكَيفَ تُرَجّي الرومُ وَالروسُ كبتَكم — وَذا العَزمُ آساسٌ لَكم وَدَعائِمُ
فلم تكُ ليثًا فاتكًا بعدوِه — وَلَكِنَّكَ التَوحيدُ لِلشِركِ هازِمُ

أخرجت حكومةُ السودانِ النفعيةِ المنافقةِ -عليها من اللهِ ما تستحقُ- الشيخَ أسامةَ وصحبَه، في قلةٍ من الزادِ والعددِ والعتادِ، فنزل بجلالَ آبادَ لدى العالمِ المجاهدِ الشيخِ يونس خالص رحمه اللهُ، وأمريكا تطلبُه، والسعوديةُ تتربصُ به، وحكومةُ كابلَ العميلةُ تطلبُ رأسَه، وقد وثّق تقريرُ الكونجرسِ

عن الحادي عشرَ من سبتمبرَ اتفاقَ السي آي إيه مع أحمدَ شاه مسعود على السعيِ في قتله، وبلغ الشيخَ في جلال آباد مؤامرتُ المنافقين بالتمويلِ السعوديِ لاغتيالِه، وبلغه سعيُ أحمد شاه مسعود لشنِ حملةٍ على جلالَ آباد للقبضِ عليه، فلم يُثنِ كلُ ذلك من همتِه، بل أعلن نداءَه الشهيرَ من جبال توره بوره بإعلانِ الجهادِ ضد الأمريكانِ.

كَأَنَّ نَفسَكَ لا تَرضاكَ صاحِبَها — إِلّا وَأَنتَ عَلى المِفضالِ مِفضالُ

وَلا تَعُدُّكَ صَوّاناً لِمُهجَتِها — إِلّا وَأَنتَ لَها في الرَوعِ بَذّالُ

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ — الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

إذن هذا هو طريقُ أسامةَ بن لادنٍ رحمه اللهُ، وطريقُ القاعدةِ من بعدِه، التصدي أولًا لرأسِ الكفرِ العالمي، مع العملِ على جهادِ الوكلاءِ المحليين، لأن المعركةَ واحدةٌ، ولا تنفصلُ إلا في مخيلةِ من لا يتصورُ الواقعَ تصورًا صحيحًا.

وقد حاولتْ فئاتٌ من المستثقلين للبذلِ، والمستعظمين للتصدي للحقيقة، أن يهربوا من مواجهةِ العدوِ الذي يتهددُهم، فرأينا المتراجعين في السجونِ المصريةِ، الذين اعترفوا بحسني مبارك إمامًا للمسلمين، ورأينا سلفيةَ السيسي والدرهمِ والريالِ، ورأينا الإخوانَ الذين أصروا على أن يعيشوا كمعارضةٍ مستأنسةٍ طوالَ عهدِ حسني مبارك، ثم تحالفوا مع المجلسِ العسكريِ، ثم خاضوا خمسَ انتخاباتٍ واستفتاءات، حتى أوصلوا محمدَ مرسي -كرئيسٍ بلا صلاحيةٍ- لقصرِ الرئاسةِ، ثم اصطدموا بالحقيقةِ التي طالما هربوا منها، وهي:

لقد صحَ أن الضعفَ ذلٌ لأهلِه — وأن على الأرضِ القويُ مسيطرُ

واليوم نرى من يهربُ من مواجهةِ الحقائقِ، ويسعى لتكرارِ نفسِ الفشلِ، ويتصورُ أنه سيصلُ لكرسيِ الرئاسةِ -في القاهرةِ أو دمشقَ- عبر مخادعةِ أمريكا التي لا تُخادعُ.

ويصيحُ البعضُ: لا تذعروا أمريكا علينا، وكأنهم يجهلون أن أمريكا منذ أكثرَ من خمسِ عقودٍ، وهي مذعورةٌ مسعورةٌ علينا، ومن قبلها كان البريطانيون والفرنسيون والروسُ يتقاسمون إرثَ الدولةِ العثمانيةِ.

لماذا احتل البريطانيون بلادَ الإسلامِ من جبلِ طارقٍ للهندِ؟ ولماذا اجتاح الروسُ القوقازَ ووسطَ آسيا المسلمَين؟ ولماذا احتل الصينيون تركستانَ الشرقيةَ؟ ولماذا احتلت فرنسا مغربَ الإسلامِ والشامِ؟ ولماذا قررت أمريكا منذ أكثرَ من خمسِ عقودٍ أن تزرعَ إسرائيلَ في وسطِ العالمِ الإسلاميِ، وتحتكرَ ثرواتِ النفطِ فيه؟

هل لأن القاعدةَ قد ذعرتها واستفزتها؟

ومن الذي يدمرُ ويقصفُ ويقتلُ ويقاتلُ بأوباشِه بل وبجنودِه في الشامِ، ومن الذي يديرُ لعبةَ التقسيمِ القذرةِ فيها؟ ومن الذي قصف خيارَ المجاهدين بها؟ هل هي القاعدةُ التي تُذعر أمريكا؟

القاعدةُ -بفضلِ اللهِ ومنتِه- هي التي أيدت من أولِ يومٍ جهادَ أهلنا في الشامِ، ومدت يدَها وفتحت صدرَها لكلِ المجاهدين في شامِ الرباطِ والجهادِ.

وهي التي اختارت فضيلةَ الشيخِ أبي خالدٍ السوريِ رحمه اللهُ، ليكونَ مندوبًا لها في حلِ أكبرِ مشكلةٍ في الشامِ.

فهل هذا هو ما يستوجبُ طردَها؟ أم هذا ما تطلبُه أمريكا ووكلاؤها؟

يا أهلَنا وإخوانَنا وأحبابَنا في الشامِ، يا أمتَنا المسلمةَ في أرضِ المحشرِ وعقرِ دارِ المؤمنين، يا من تشرفون على بيتِ المقدس، يا من ضحيتم التضحياتِ الجسامَ، وقدمتم البطولاتِ العظامَ، التي وقف لها التاريخُ مشدوهًا مبهوتًا، إن موقفَنا منكم ليس موقفًا سياسيًا ولا عاطفيًا، إنه موقفٌ شرعيٌ عقديٌ، أنتم إخوانُنا في الإسلامِ والجهادِ، أنتم الذين تصديتم للطغاةِ، ووقَفتم في وجهِ حلفِ الشيطانِ الدوليِ، ونحن نخافُ على هذه التضحياتِ العظيمةِ والدماءِ الطاهرةِ أن تضيعَ في ألاعيبِ السياسةِ وحيلِ الاستدراجِ، لقد رأينا كيف ضاعتِ التضحياتُ من قبلُ، لما انزلق القادةُ في مستنقعِ التوازناتِ السياسيةِ والأطماعِ المصلحيةِ، رأينا ما انتهى له الجهادُ في أفغانستانَ بعد خروجِ الروسِ، وقبل قيامِ الإمارةِ الإسلاميةِ، ورأينا ما انتهت له ثوراتُ الشعوبِ المسلمةِ في مصرَ وتونسَ واليمنِ.

وإن للهِ سبحانه سننًا لا تجاملُ أحدًا، فاتحدوا واتفقوا، وتواصلوا وارتبطوا ومُدوا أيديَكم لإخوانِكم المسلمين في كلِ ديارِ الإسلامِ، فهذا هو طريقُ النصرِ، يقولُ الحقُ سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

ويدور موظفو وزارةِ الخارجيةِ الأمريكيةِ على المتفاهمين، فيعِدون ويُوعِدون، ويتحركُ الممولون فيُغْرُون ويستدرجون، ويقولون: نريدُ أن نساعدَكم فلا تحرجونا.

وتتوالى الفتاوى والشبهاتُ، وتصبحُ السياسةُ الشرعيةُ -عند البعضِ- سيالًا لا ينضبطُ، فيصيحُ العدنانيُ: كانت بيعةَ احترامٍ وتقديرٍ، وأطعناهم في الخارجِ وعصيناهم في الداخلِ، وأخرُ يقولُ: بيعةُ اضطرارٍ، وثالثٌ يبررُ: بيعةٌ مكانيةٌ، ورابعٌ يفتي: ثوابتٌ ومتغيراتٌ، أما نحن فنرى أن البيعةَ عقدٌ شرعيٌ مُلزمٌ، يحرمُ نكثُه، قال المولى سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقودِ﴾، ونحن -إن شاء اللهُ- نوفي ببيعاتِنا، ولا نقيلُ ولا نستقيلُ.

ويبررُ المبررون: نريدُ أن نتجنبَ القصفَ، نريدُ أن نهربَ من التصنيفِ، الممولون يشترطون علينا أن نبتعدَ عمن تكرهُهم أمريكا، حتى لا يصنفوننا كإرهابيين، لا نريدُ قطعَ الإمدادِ عن المهاجرين، لن نجتمعَ إلا إذا تقوقعنا.

وتصبحُ القطريةُ شعارًا لا يُستحى منه، وكأن الغربَ والشرقَ والصليبيين والروافضَ والعلمانيين والملاحدةَ الروسَ والصينيين لم يتجمعوا علينا.

وهنا تبرزُ قيمةُ الإمارةِ الإسلاميةِ ومكانةِ الملا محمدِ عمرَ -رحمه اللهُ- وإخوانِه في تاريخِ الإسلامِ المشرقِ، حين قال في قوةِ المؤمنِ المتوكلِ على اللهِ: إن مسألةَ أسامةَ لم تَعدْ مسألةَ شخصٍ، ولكنها صارت مسألةَ عزةِ الإسلامِ. وحين قال: لو أنا سلمتُ أسامةَ اليومض فإنكم غدًا ستسلموني، وينتقلُ -رحمه اللهُ- لجوارِ ربِه زاهدًا في الملكِ والدنيا، فيخلُفه الملا أختر محمد منصور رحمه اللهُ، فيشكرُ القاعدةَ على بيعتِها له، ويذكرُ العبدَ الفقيرَ بالاسمِ، وهو يعلمُ ثمنَ ذلك، وتستمرُ المسيرةُ الطيبةُ المباركةُ الوفيةُ للمؤمنين والمهاجرين.

أيها المسلمون والمجاهدون: لقد كان الشيخُ أسامةُ والملا محمد عمر -رحمهما اللهُ- نموذجَين صادقين للمسلمَين المجاهدَين الذيَن لم يَغُشا أمتَهما، ولم يُرْهِبْهما العدوانُ والإجرامُ الأمريكيُ، فاقتدوا بهما، واقتفوا آثارَهما.

أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم إِذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ

إخواني المسلمين والمجاهدين إننا نواجهُ أشرسَ حملةٍ عدوانيةٍ في تاريخِ المسلمين، اجتمع علينا فيها الصليبيون والملاحدةُ الروس والصينيون والروافضُ والعلمانيون والحكامُ الخونةُ.

ولا سبيلَ لنا إلا التوحدَ في مواجهتها، نحشدُ الجهودَ، ونُقسمُ الأدوارَ، ونُوزعَ المهامَ، ونُشتتُ جهودَ الأعداءِ. أما هذا التشظي والتقاطعُ والتباعدُ والتقسمُ، فهو مقدمةُ الهزيمةِ إن لم يكنْ هو الهزيمةَ نفسَها. يقولُ الحقُ سبحانه: ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، ويقولُ عز من قائلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾، نريدُ أن نكونَ بُنيانًا مرصوصًا، من تركستانَ حتى مغربِ الإسلامِ، ومن القوقازِ حتى وسطِ إفريقيا.

فحيا اللهُ أسودَ الإسلامِ في مالي، الذين رفعوا معنوياتِ المجاهدين والمسلمين المخلصين، فزادوا متانةَ بنيانِهم المرصوصِ، وقَوَوا من صلابةِ وتماسكِ ثغرِ الإسلامِ الغربيِ، فأسألُ اللهَ أن يثبتَ أقدامَهم، ويُفرغَ عليهم صبرَه ومددَه، ويفتحَ عليهم حتى يُعيدوا الزلاقةَ الثالثةَ قريبًا بعونِ اللهِ.

ولأن الوحدةَ هي طريقُ النصرِ، لذا كان من أهمِ أهدافِ أمريكا وعملائِها في المنطقةِ العربيةِ والإسلاميةِ هو تفكيكُ التجمعِ الجهادي، وتقطيعِ أواصرِه وروابطِه، وأن يتحولَ جهادُ الأمةِ لجهادٍ قطريٍ، ثم تُزرعُ الفتنُ بين المجاهدين في القطرِ الواحدِ، ويتشظى المجاهدون، ويفشلون وتذهبُ قوتُهم.

إخواني المسلمين والمجاهدين إن التراجعَ أمام الضغطِ الأمريكيِ لن يجديَ شيئًا، فأمريكا لن ترضى إلا عمن تستعبدُه. وقد قرر لنا القرآنُ هذه الحقيقةَ، فقال الحقُ سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

أمتي المسلمة انظري لكلِ من تراجع أمام أمريكا بماذا رجع؟ بماذا رجع محمودُ عباس؟ وبماذا رجع الغنوشيُ؟

يجبُ أن نرتفعَ لمستوى المعركةِ، فأعداؤنا يخوضون المعركةَ وهم مجتمعون علينا، ونحن نتفرقُ لنحققَ لهم ما يريدون، ونُسَهِلَ عليهم ما يبتغون.

يا أمتَنا المسلمةَ ها هو الربيعُ العربيُ قد وصل لمحطةِ الفشلِ، وعاد أعداءُ الأمةِ أشدَ شراسةً مما كانوا؟ وأكثرَ تبعيةً لأمريكا مما سبق؟

فمن الذي أهدر طاقةَ الغضبِ الشعبيةِ؟

أهدرتها القياداتُ الضعيفةُ المستأنَسةُ، التي مارستِ التراجعَ حتى عن ثوابتِ دينِها فخسرتِ الدنيا والدينَ، ضعُفوا عن أن ينصوا في الدستورِ بصراحةً على أن أحكامَ الشريعةِ هي مصدرُ التشريعِ، وضَعُف الغنوشيُ عن أن يتصدى لقوانينِ بورقيبةَ، الذي صار جيفةً في قبرِه، وكان يتقربُ للغربِ بالتنازلِ المستمرِ، حتى صار علمانيًا صريحًا، فرَجَع النظامُ القديمُ لمصرَ وتونسَ برجالِه وفسادِه.

يا أمتي لن تتحرري من الهوانِ والتبعيةِ والظلمِ والفسادِ، إلا إذا جاهدتِ جهادًا راشدًا تقودُه قياداتٌ قويةٌ حكيمةٌ، لا تتنازلُ عن عقيدتِها، ولا تساومُ في دينِها، ولا تبيعُ حقوقَ أمتِها.

يا أمتي المسلمةَ إن الأقصى الجريحَ لن يُحررُه المساومون والمتذبذبون والمتأرجحون، ولكن سيحررُه أبناؤك المجاهدون المضحون المستشهدون بإذنِ اللهِ.

يا أمتي المسلمةَ إن الأقصى يئنُ ويترفُ كلَ يومٍ، فربي له أبناءك على البذلِ والفداءِ والثباتِ على العقيدةِ، والتمسكِ بشرائعِ الإسلامِ.

فإن الأقصى لن يتحررَ، وبلادَنا لن تتطهرَ من الغزاةِ، وحكوماتِنا لن تتخلصَ من الطغاةِ اللصوصِ المجرمين إلا بالجهادِ في سبيلِ اللهِ.

يا أمتَنا المسلمةَ مرت ستَ عشرةَ سنةٍ على غزواتِ الحادي عشرَ من سبتمبرَ، وأبناؤك المجاهدون ثابتون صامدون على ثغورِهم من كاشغرَ حتى تمبكتو، ومن دكا حتى مومباسا، ومن الفلبينِ حتى جبالِ الأوراسِ، ومن جروزني حتى عدنَ أبين، يُقدمون دماءَهم، ويُضحون بأعزِ ما يملكون ابتغاءً لمرضاةِ ربِهم، وفداءً لنصرِك، ومهرًا لتحررِك.

فثقي بهم وادعميهم وسانديهم وانصحيهم وارشديهم وقوميهم.

فهؤلاء هم أملُك القادمُ وفجرُك الباسمُ ومعيدو خلافتِك الراشدةِ بإذنِ اللهِ.

وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِ العالمين، وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ وآلِه وصحبه وسلم.
والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.